

يا زهراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ سَيِّدِي يَا بَقِيَّةَ اللَّهِ

إخوتي أخواتي أبنائي بناتي سلامٌ عليكم جميعاً .

ملفُ التنزيل والتأويل

الحلقة (١٥) ١٢/٤/٢٠١٣م

تمّ الكلام في حلقة يوم أمس في الجزء الخامس تحت عنوان (علم العرفان الشيعي) وإن كانت قد بقيت مطالبٌ عديدة لكن ما سنع الوقت بيانها لأنني لا أريدُ إطالة حلقات هذا البرنامج كثيراً حتى لا تشتت المطالب ، اليوم عنوانٌ جديد (الدين العلماني أو الليبرالي أو المدني) قراءةٌ معاصرة كما يسمونها لدين مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم ، هذه القضية قضية طويلة عريضة وأنا لست مهتماً بها إنما نظري إلى جهةٍ تتعلقُ بالبحث الذي بين يدي ، فقط سوف أتناول الجهة التي تكونُ مقارنةً أو قريبةً من العنوان الذي عنونْتُ به هذا البرنامج ، ملفُ التنزيل والتأويل .

بادئ ذي بدء نستمع إلى السيّد أحمد القُبّنجي ..

صوت السيّد أحمد القُبّنجي: المقطع الأوّل: [...زين ثانياً نقول أنّ النبي ادّعى دعوى افترضوا احنا المسلمين، احنا في زمن الجاهليّة إجا واحد قال لنا أنا نزل عليّ الوحي ، يابه شنو دليلك يقول أنا شفت جبرائيل، زين،

انت تعرف هذا جبرائيل قبلاً؟ انت قرابتك جبرائيل؟ ابن عمك؟ اسألت جنسيته، شنو هويته؟ بلكي هو جني، بلكي انت اتوهمت، يقول لا أنا شفت جبرائيل، يابه شنو دليلك أنّ هذا جبرائيل؟ ما عنده دليل، يعني النبي ما جاب دليل على أنّ هذا الذي شافه جبرائيل ، هو قال أنا شفت فد شي كائن عجيب هو ادعى بأنّه أنا جبرائيل ، يابه انت اسألت من عنده جنسيتك وبينها بلكي يجذب عليك ، لا أنا صار عندي يقين بأنّ هذا جبرائيل ، يقين يقينك محترم بس يقينك حجة عليك مو علينا ، هسّا انت عندك يقين بأنّ مثلاً الخيرة زينة ، بس هاي الخيرة مو ملزمة على البقية انت تعتقد بالخيرة تعتقد عندك يقين ، عندك يقين بأنّ العباس يشوّر، قال زين انت عندك يقين، حجة على البقية؟ فالنبي ما جاب حجة على أنّ هذا هو جبرائيل ، لاهو يعرفه قبلاً، لا هو طلب جنسيته، جوازه، هويته، بطاقة تموينية شي، حتى يعرفه ، بس هو قال أنا جبرائيل صدق بيه، واحنا ما نصدق احنا لازم نثبت، هاي قضية مو قضية هينة، زين هاي ثانياً.

ثالثاً جبرائيل جاب له هالكلام قال هذا هو من الله زين انت اشلون تفتهم هذا من الله بلكي من عندك ، يعني هو جبرائيل هسّا بنية خير بنية سوء قال هذا من الله ، انت أيها النبي قلت له شنو دليلك على هذا من الله ، قلت له ليش ، الله قالك مباشرة خاطبك راح ادز لك واحد اسمه جبرائيل أنت أحد بكل كلامه؟ الله ما قالك ، واحد قال له هذا الرسالة من الله ، رأساً قبل، يابه بلكي هذا جبرائيل يجذب ، زين ما عنده يعني ما بين لنا، للناس، للعرب، دليل على أنّ هذا جبرائيل قال أنّ هذا من الله يمكن مو من الله ماخده من عنده لو ماخده من واحد آخر ، زين فاحنا ما ملزمين بالنظرية هاي النظرية تواجه إشكالات عقلية يعني بناء بناء الوحي بناء الإسلام على الدين دولا مبني على الرمل، ما يقدرن يجاوبون على هالأئلة ، إذا بناء على رمل مبني الوحي مبني على رمل كل الدين ينهار ، لأن أصل القضية انتوا تعتقدون فد شي وهمي ، يعني هو النبي ما جاب دليل على أنّ هو هذا جبرائيل هو هذا نفسه مو غيره لأنّ هذا جبرائيل يحجي على الله مجرد شاف واحد قال له أنا من الله صدق ، فشنو الحجة علينا ليش احنا ملزمين بقبول كلامه هو عنده يقين خل هو يصدق هو يصلي هو يصوم ، فإذا هذي النظرية الموجودة الآن مبنية على الرمل وهم ما تقاوم المنطق العقلي إذا إشكالات عقليّه، اشكالات عقلية هواية احنا نكتفي بهذا حتى نصل البقية ، اكو ملاحظة شنو يجاوبون ، يقولون يجاوبون أنّه هذا النبي جبرائيل جاب له قرآن وتحدي به العرب فإذا جاب له معجزة وهذي المعجزة

القرآن يعني تحدى بيها العرب ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثله ولا بسورة إذاً هو من الله هذا دليلهم يعني في جواب على السؤال الذي طرحته أنه كيف تفهمون أنّ هذا الكلام من الله؟ هو جبرائيل قال من الله فاحنا ما نصدّق بجبرائيل ، هسّا النبي كان معروف بالصادق الأمين بس جبرائيل ما معروف بالصادق الأمين ما نعرفه لولا يمكن يجذب والكذب هم إذا فيه مصلحة زين يصير حسن مواحنا عندنا الكذب أحياناً كذب اصلاح ذات البين وإنقاذ مؤمن من قتل يكون واجب اصلن والصدق يكون حرام ، فجبرائيل حبّاب وقلبه طيب شاف هدوله همج يعبدون أصنام يريد ينقذهم من الخرافات جذب له فد جذبة قال هذا الكلام من الله حتى شنو حتى هدوله العرب الهمج إذا محمد يقول هذا من عندي ما يطيعوه إذا يقول من الله يطيعوه ، فقال له خل بجذب فد جذبة وهو زين سوى فإنقاذ ملايين الناس من الخرافات ومن عبادة الأوثان هذا المسوغ للكذب يمكن جبرائيل كذب احنا ما نعرفه. زين جوابهم ماذا؟ يجيبون بأنّ هذا جبرائيل انطى للنبي فد معجزة تحدى بيها العرب ..]

المقطع الثاني: [... ما محبوبين عند الناس بس الناس يخافون من عندهم فهذا التصوّر تصوّر ساذج ويشوّه شُعبة الله نحن نريد أن ندافع عن الله بالنظرية الثانية سوف ترون أنّ هذي الجنة وهذي النار أساساً خلاف العقل، على جهنّم تحدّثنا زين على الجنة شنو ، هاي عاجنة ما حجيننا مو المعاد عندنا جنة ونار احنا فقط ذكرنا الإشكالات على جهنّم ، على الجنة بالله انتوا تصوّروا هذي الجنة الموجودة الآن أنا اسميها حضيرة أغنام أنا اسميها طولة مال مطاية يعني فقط أكل وشرب وزواج وشرب خمر يعني أي معلّم من معالم الإنسانيّة ما موجود ، فد ايثار، مثلاً ابداع، شغل، أمومة، حتى الأم مسكينة هناك ماتقدر تولد لأنّ الولادة بيها وجع وأنه الجنة ما بيها وجع، ينطوها شنو ولدان المخلدون ، يابه أنا أريد أبني هو هذا الوجع لطيف ما يصير ، الأبوة ما موجودة ، زين حاتم الطائي عند أحلى شي انّ يجي فد جوعان المضيف ويكرمه، هو ما يجب هو ياكل يجب ينطي، أحلى شي عنده واحد جوعان ويجي مضيفه يابه حاتم الطائي قاعد مو كلهم زناقة(أغنياء) اهنالك ماكو فقير ولا اكو جوعان هذا هيح ، الإمام علي شجاعة وفروسيّة واهتمام بالضعفاء وهو ما كو كلهم لا ضعفاء ولا حروب أكو ولا كل شي ماكو ، زين ، احنا المؤلّفين، الفنّانين، الإبداع، الرسّام كلهم رسّامين كلهم عدّهم قدرة على الرسم بعد هيح يقعد ، زين ، احنا المؤلّفين كلهم علماء لمن نألّف هم نقعد

بس ناكل ونشرب شنو هاي فقط غرائز حيوانية، هاي الغرائز الحيوانية ذولا الممج العرب الجاهليين كانوا يكتفون عليها ، احنا قطعاً إذا الله قال لي طب الجنة أنا أول من يرفض دخول الجنة وبل أفضل دخول النار لماذا؟ لأن بيها احساس إنساني بيها مواساة لمحرومين، معذبين، أنا بالجنة شسوي، زين يوم يومين سنة سنتين خو يمل إلى أبد الأبدين ، يعني هذا الفلاح اللذة الفلاح الذي هو يزرع، يتعب، يحصد ، انتوا إذا مجربين اذا انت تزرع شجرة رمان وانت تقطف هاي الرمانة بعد خمس سنوات ألد عندك من كل شي مو تروح تشتري رمان من السوق، هذا الفلاح يريد هو يشتغل ، لذة هذي لذة الفلاح ما موجودة في الجنة ، لذة الإيثار ما موجودة في الجنة ، على كل ، فهذي الجنة إذا والتصوير بالقرآن موجود يعني واحد يتصور الإمام علي مثلاً لابس معاضد وقلادة وتراجي هذا بالجنة ، يعني هذا الله فد شي عظيم (ويلبسون أساور من فضة) فد شي عظيم يعني الإمام علي يلبس أساور، معاضد يلبس، يعني هذا شنو فائدته، ويلبس حرير، هسا ما شاء الله حتى الفقير يلبس حرير ، يعني تصوير للجنة تصوير مشوه يعني فقط يناسب ذاك الزمان الذي كانوا جوعانين لا شايفين معضد لا شايفين عسل لا شايفين حليب، كلها للملوك، ملابس ما عندهم، احنا عندنا بالروايات أن كل عشرة كانوا للصلاة صلاة جماعة كلهم عراة كل عشرة كانوا يتناوبون على مئزر ذولا التسعة يقعدون واحد يقوم يصلي يلبس المئزر بعدين ينطي المئزر للآخر ويقعد، هذا الفقراء طبعاً لما يشوفون حرير وسندس وكذا حور عين ، حور عين للنساء ما كو ، المسكينة هاي المرة الزوجة الصالحة تنتظر هذا زوجها هو عنده الف حور عين اشكد يوصل سراها هي ما عندها لازم تنتظر فد مليون سنة وكل مرة يجامعها بالروايات يقول خمسمية سنة زين خمسمية سنة وهي الف وحدة أقل شي ، زين ، وهاي خطيه الزوجة يعني واقعاً لازم النسوان أول ما يعترضون على هالشي بالجنة ما يصير بس الرجال عنده ، ليش شوف بذاك الزمان الثقل على الرجال مو هي الفتوحات والجهاد بس للرجال، الله والنبي يريد ايطمعمهم بالجنة إذا لازم أكو حور عين لأنه العرب مشوهين على الحور عين على المرة مشوهين أما النساء أصلاً مو بالحسبان ، زين على كل ، هذي الجنة وهاي النار احنا شوف نظريتنا باختصار بس انا أريد انتوا تشاركون فيه حتى يصير بحث متواصل وتواصل الحوار يصير يعني حتى في أثناء المحاضرة إذا واحد عنده سؤال يشيل ايده حتى يصير تغيير جو يعني يصير تنوع ملل يصير أنا من أول دائماً اعتذر عن الإطالة لأن الموضوع هو يستحق الإطالة يعني كلاً

اختصار اختصرت كثير أنا أدلة وكذا كلها اختصرتها بس مع ذلك هو الموضوع يعني موضوع كتاب كتاب يريد لانه كلها يمكن فد شي ما سامعين بيها ، زين اذا عنده واحد اعتراض خلّه يعترض حتى لا يصير ملل الجماعة بعضهم يمكن يتعبون.

[يسأل سائل وتأتي الإجابة]: اي هذا مو على المعاد هذا على التوحيد ، اي طبعاً الأدلة كلّ الأدلة القرآنية إذا تشوفها كلها ضعيفة منطقياً وإن كانت صحيحة خطائياً، القرآن كتاب خطابي، الخطاب مو كتاب فلسفي، احنا اذا قلنا كتاب فلسفي مثلما يقولون جماعتنا العلماء هم ظلم للقرآن نظلم القرآن جاي نحمله فوق طاقته ، هو كلامه للهمج انت تجيب كلامه افلاطون ما يصير فينكشف فاذا قلنا انّ هذا دليل منطقي شفنا أدلة المعاد كلها ضعيفة]

المقطع الثالث: [....الآن احنا ليش بعد ما نحتاج هذه ملاحظة أضيفها على الدكتور ، ليش ما نحتاج إلى إمام يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ليش ما نحتاجه ، ليش في السابق كانوا يحتاجون لأنّ في السابق الشيعة كانوا يعيشون فد شكل يئس من إصلاح سوّوا ثورات ما صار ، لا أكو أمريكا تجي تخلّصهم من هذا صدامهم يعني هارون الرشيد المتوكّل المأمون ما أكو قوّة عظمي ، الله همّات ساكت عنهم وفتوحات وكذا ، لَمّا يَأَيّسون الإنسان يَأَيّس شيسوي يقوم يعيش في أحلام اليقظة ويتصوّر فد يوم يجي واحد من عنده وإمام من عنده يخلّصه ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، الآن احنا شفنا الغرب هو بلا ما يجي إمام زمان وإمام مهدي وإمام كذا هو حقّق العدالة ، فنحن ليش ننتظر إلى أن يجي الإمام يحقّق لنا الجمل العادلة ، لهذا شوف هذين المصريين هم ثاروا وطيروا مبارك وراح يسوون حكم ديمقراطية واحنا الآن اليابان والدول المتقدمة هي حققت العدالة فنحن لا نحتاج إلى قوّة غيبية لتحقيق العدالة ، احنا من تجربة الغرب احنا صار عندنا ثقة أنّ احنا نستطيع أن نحقق ونغيّر ونقيم العدالة بلا حاجة للإمام المهدي ، فلهذا احنا هاي الحاجة والإنسجام احنا ما نؤمن بالإمام المهدي لأنّ ما نحتاج اله اصلاً وكما قالت احدي ، واحد من اصدقائنا يقول أنا أمي قلت لها هذا يقول على المنبر مادري المهاجر كذا يقول بعد شهر شهرين يطلع صاحب الزمان ، اي بعد ستة أشهر، أمّه يقول لها، والدتي عجوزة قالت يا يمّه إذا كنّا نحتاج صاحب الزمان بزمان صدام ما طلع، هسنا لا يطلع أحسن بعد ما نحتاجه إجت أمريكا وخلصتنا وسوّت لنا ديمقراطية بعد شنو انت جاي ، انت ثلاثين

سنة بالسجون احنا نحتاجك ونصيح يا صاحب الزمان ما تجي هسّا تجي بعد ما امريكا اجت ويريد الإمام يركب الموجة ويجي يصير إمام....]

سمعتم وشاهدتم هذه المقاطع وهي مأخوذة من الإنترنت ، ربّما بعضكم قد سمعها ورآها ، على أيّ حال ، ما قاله وما ذكره أحمد القُبْنَجِي في هذه المقاطع وفي مقاطع كثيرة هو صدقٌ لهذا العنوان (الدين العلماني)، (الدين الليبرالي)، (الدين المدني)، سمّ ما شئت من التسميات ليس مهمّاً أنّها قراءة جديدة، قراءة معاصرة ، وهنا ملاحظات أشيرُ إليها وبعد ذلك أشرعُ في حديثي ، أنتم الآن استمعتم إلى حديث أحمد القُبْنَجِي وما ذلك إلا نماذج من أحاديثه ومن أحاديث هذا الإِتْجَاه ، المعنُون بالدين العلماني، بالدين المدني، وبما يُقارب ذلك ، الملاحظة الأولى التي أريد أن أذكرها أحمد القُبْنَجِي على مستوى الكتابة والترجمة ترجمته جيّدة ، هذه مجموعة ونماذج من الكتب التي ترجمها على سبيل المثال: (العقل الفقهي) للشيخ عبّاس يزداني، (قراءة بشرية للدين) للشيخ محمّد مجتهد شبستري، (أزْحَب من الأيديولوجيا) و(التراث والعلمانية) و(الدين العلماني) للدكتور عبد الكريم سرّوش، وكتب أخرى ، هذه نماذج وأمثلة جئتُ بها ، القُبْنَجِي على مستوى الكتابة والترجمة كتابته جيّدة وترجمته جيّدة لهذه الكتب ، فهذه الكتب قرأت بعضها بالفارسيّة والبعض الآخر قرأتها بترجمة السيّد أحمد القُبْنَجِي، لكن على مستوى الحديث وعلى مستوى الكلام فهو يتكلّم بطريقةٍ بائسةٍ جدّاً، حديثه حديثُ المقاهي، وكأنّه يتحدّث في مقهىٍ مع افتقارٍ إلى المصطلح العلمي، المصطلح الديني، النص الديني وغير ذلك، والقضيّة واضحة أنتم تلاحظونها وتشاهدونها ، على أيّ حالٍ عندي سؤالان هذان السؤالان أو جههما إلى طلبة الحوزة العلميّة ، أنا لا أريد هنا أن أُحرّضَ على السيّد أحمد القُبْنَجِي لا علاقة لي بالرجل لا سلباً ولا إيجاباً والناس أحرارٌ فيما يعتقدون وكلُّ منّا مسؤلٌ عن سلوكه وعن عقيدته ﴿ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ لكنني أسأل طلاب الحوزة العلميّة في النجف ، صحيح أنّ بياناتٍ رفضٍ أو استنكارٍ صدرت في النجف لكنّها لا تتعدّى الحدّ البروتوكولي ولا علاقة لي بالتفاصيل الأخرى ، أنا عندي سؤالان وهذان السؤالان يتعلّقان بالوضع الشيعي لا بأحمد القُبْنَجِي ، يتعلّقان بالمؤسّسة الدينيّة ، أنا أسأل طلبة الحوزة الموجودين في النجف:

السؤال الأول: لو لم يكن السيّد أحمد القبنجي من العوائل القريبة من المؤسسة الدينية كيف كان موقف المؤسسة الدينية من السيّد أحمد القبنجي؟

لا علاقة لي بأحمد القبنجي ، أنا هنا أريد أن أتحدّث عن مشكلتنا في الواقع الشيعي ، لو لم يكن من العوائل القريبة من المؤسسة الدينية وفي جوّ المؤسسة الدينية بالله عليكم كيف سيكون الموقف منه؟

والسؤال الثاني: لو كانت هذه العبارات الرخيصة والعبارات الوقحة التي تفوّه بها السيّد أحمد القبنجي في هذه المقاطع من حديثه أو في غيرها وهي كثيرة ، لو لم يكن قد قالها في رسول الله أو في الإمام الحجّة صلوات الله وسلامه عليه وعنده عن الزهراء أيضاً ، لو لم يقلها في هؤلاء وقالها مثلاً في السيّد السيستاني إستعمل هذه العبارات الوقحة والرخيصة ماذا سيكون موقف المرجعية وموقف المؤسسة الدينية؟

وهذا هو الخراب الذي أتحدّث عنه في اختلال الأولويات في الواقع الشيعي وضياع المؤسسة الدينية وضياع المرجعية الدينية وضياع الشيعة فيما بين الأهمّ والمهم ، دائماً الشيعة يقدّمون المهمّ على الأهمّ والأمة التي تُقدّم المهمّ على الأهمّ أمةٌ خائبة ، لا أريد أن أتحدّث كثيراً في هذه الجهات إنّما أعود إلى عنوان الحلقة (الدين العلماني) وهنا لا أريد أن أناقش أحمد القبنجي إنّما أناقش الكبار، أعود إلى الكبار ، أحمد القبنجي صوته هذا صدئٌ لنظريةٍ وفكرةٍ ولعقيدةٍ ولدينٍ وضع أسسه الدكتور عبد الكريم سروش المفكر الإيراني المعروف، لذا نقاشي يتوجّه إلى هذه الجهة وإلا السيّد أحمد القبنجي قد أساء ويُسيء كثيراً بهذا العرض السوقي للمطالب التي كتبها سروش وزملاء سروش الذين تبعوه بعد ذلك ، لكنّ القضية السنتر فيها، المركز فيها، هو عبد الكريم سروش.

عبد الكريم سروش هذا إسمٌ مُستعارٌ هو إسمه حسين فرج وهذا هو الإسم المستعار الكثير من الشخصيات الإيرانية التي كانت في مواجهة ومعارضة نظام الشاه قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران سنة ١٩٧٩ ، حتّى علماء الدين الكبار، الشخصيات الكبيرة، الأسماء المشهورة والمعروفة لبعضهم هي ليست أسماءهم الحقيقية ، عبد الكريم سروش هو إسم مستعار لشخصيةٍ إيرانيةٍ إسمها الحقيقي حسين فرج ، عبد الكريم سروش من

مواليد طهران سنة ١٩٤٥ على ما أتذكر ، لأنني قد قرأت عن تفاصيل حياته فيما سبق ، عبد الكريم سروش من الشباب الذين كانوا يلتقون حول علي شريعتي وقد تأثر به كثيراً ، وهذا التفكير الذي طرحه عبد الكريم سروش في كتبه بداياته أسس لها علي شريعتي في كتبه والشيخ مطهري كان مرافقاً للدكتور علي شريعتي، هناك حسينية معروفة في شمال مدينة طهران تُسمى بحسينية إرشاد كانت المكان الذي نُقِّد فيه مشروع ثقافي للحركة المعارضة للنظام الشاهنشاهي آنذاك وكان يتزعم هذا المشروع الدكتور علي شريعتي والشيخ مرتضى مطهري ، المشهور والشائع أنّ الشيخ مرتضى مطهري فكره يختلف عن فكر علي شريعتي وأنّ تواجد الشيخ مرتضى مطهري في حسينية إرشاد لتصحيح الخطأ والانحراف عند شريعتي ، هذا هو المشهور والمعروف ، وجهة نظري من خلال تتبع كتب علي شريعتي وكتب الشيخ مطهري وهذه الفكرة ليست جديدة هذه فكرة قديمة وجدتها في كتب الدكتور شريعتي وفي فكر وكتب الشيخ مرتضى مطهري ، الشائع أنّ مرتضى مطهري في مواجهة علي شريعتي ما لمستته أنا أنّ الشيخ مطهري قد تأثر بفكر علي شريعتي، خصوصاً مثلاً في كتابه (الملحمة الحسينية) وغيره بقيّة كتب الشيخ مرتضى مطهري، لأنني حين أقارن بين أفكار الشيخ مطهري والدكتور علي شريعتي أجد أنّ بعض الأفكار كتبها شريعتي في كتب بعد ذلك أجدها في كتب للشيخ مرتضى مطهري كتبت تاريخياً بعد تلك الكتب، فماذا أستنتج؟ يعني أفكار يكتبها علي شريعتي في كتاب وبعد ذلك نفس هذه الأفكار موجودة في كتب الشيخ مطهري وهذا الكتاب تاريخياً بحسب ما مكتوب في الكتب مؤلف بعد تأليف شريعتي لذلك الكتاب ، فماذا يعني؟ بالنسبة لي أنا أستنتج بأنّ الشيخ مطهري هو قد تأثر وأخذ من علي شريعتي ، هناك كلمة ينقلها تلامذة علي شريعتي وأصدقاء علي شريعتي بأنّه قال (أي خطأ، أي إشتباه، أي إنحراف في كتي أنا أستأمن عليه مرتضى مطهري) إذا هو يقول هذا خطأ ويصحّحه أنا أقبل بذلك ، قد تكون الكلمة هكذا مثلما هي بحسب الظاهر أو قد يكون شريعتي قال هذه الكلمة لأنّه عرف بأنّ مرتضى مطهري تأثر به وبدأ يأخذ شيئاً من أفكاره، وإلا من يقرأ الملحمة الحسينية يجد هناك تشابهاً كثيراً في وجدان هذا الكتاب مع الوجدان الموجود في كتب علي شريعتي، وهنا لا أريد التفصيل كثيراً في هذه القضية لكن جاء ذكر علي شريعتي والشيخ مطهري وأنّ عبد الكريم سروش قد تأثر بهم وتأثر بشكل كبير بالدكتور علي شريعتي والحديث عن فكر سروش لا يمكن إلاّ

بذكر علي شريعتي لأنّ البدايات كانت من هناك، عبد الكريم سروش حاصل على شهادة ال PHD الدكتوراه من لندن من بريطانيا في الكيمياء والصيدلة، عبد الكريم سروش من المختصّين والمطلّعين على فلسفة العلوم ، على الفلسفة بشكل عام ولكنه من المختصّين في هذا الباب ، فلسفة العلوم وهو باب في الدراسات المعرفية في العصر الحاضر من أهمّ أبواب الدراسات المعرفية ، وهو أيضاً له إطلاع واسع في المنهج الأبيولوجي في المنهج المعرفي الذي تُدار البحوث وتُكتب وتُدرس وتُعمّق في الوقت الحاضر في الزمن المعاصر خصوصاً في الغرب وفقاً لهذا المنهج ، وهو إضافةً إلى ذلك له إطلاع واسع في التأريخ وفي تفسير القرآن وفي الفلسفة والتصوّف والعرفان وعلم الكلام وفي أصول الفقه عنده إطلاع واسع بعبارة مختصرة عبد الكريم سروش موسوعة علمية ثقافية معاصرة ، جمع بين الثقافة القديمة والثقافة الحديثة ، ربّما لا أجد له نظيراً في الساحة العربية ، هناك كثيرون يقارنون عبد الكريم سروش أو هو يقارنهم في المنهج في قضية القراءات المعاصرة للدين منهم من هو في الوسط السنّي، منهم من هو في الوسط الشيعي ، منهم من هو في الوسط السنّي وتشيع ومال إلى التشيع ، أسماء عديدة ، مثلاً محمّد عابد الجابري من المغرب شخصية علمية معروفة وتوفي قبل فترة قريبة ، مثلاً محمّد أرغون من الجزائر ، حسن حنفي ، سيّد القمني من مصر ، علي حرب من لبنان ، هناك كاتب عراقي يحيى محمّد ، نصر حامد أبو زيد ومجموعة أخرى من الذين حاولوا أن يقرأوا النصّ الديني قراءة جديدة بوسائل جديدة للفهم وطرحوا أطروحاتهم ، وأنا هنا لا أريد أن أتحدّث عن هؤلاء ، لأنّ هؤلاء تحدّثوا وفقاً لمعتقداتهم ولأفكارهم بعيداً عن الموضوع الذي أنا بصددّه وهو الواقع الشيعي ما بين التنزيل والتأويل ، لماذا اخترت عبد الكريم سروش وكأنّ هذا العنوان أُنجم إقحاماً في داخل هذا البرنامج، في داخل هذا الملفّ، لم أُنجم هذا العنوان ولكن عبد الكريم سروش هو وليد فكر المدرسة الأصولية والمدرسة العرفانية، عبد الكريم سروش له إطلاع واسع في فكر المدرسة الأصولية وإطلاع واسع في فكر المدرسة العرفانية وله تجربة عرفانية ومعاناة عرفانية وسلوك عرفاني ، حين يتحدّث عن نفسه فيقول: من أوائل أيّام شبابه كان مُنهمكاً ومُنشدّاً إلى قراءة جامع السعادات ، ويقول: من أكثر الكتب التي أثّرت في نفسي في أوائل أيّام شبابي كتاب المراقبات ، وهو للشيخ جواد ملكي تبريزي أستاذ السيّد الخميني في العرفان وتلميذ الشيخ حسين قلي الهمداني ومرّ ذكره في الحلقات الماضية ، وهو يُحدّث عن نفسه حين ذهب إلى بريطانيا إلى لندن

لإكمال دراسته ونيل شهادة الدكتوراه ، يقول: أخذت معي أربعة كتب ، ما هي هذه الكتب الأربعة التي أخذها؟ (الأسفار الأربعة) لصدر الدين الشيرازي، مرّ الكلام عن هذا الكتاب، (المحجّة البيضاء في إحياء الإحياء) للفيض الكاشاني، مرّ الكلام عن هذا الكتاب أيضاً ، ديوان مولوي (مثنوي معنوي) ديوان جلال الدين الرومي وديوان حافظ ، يقول هذه الكتب هي التي كانت أنيسي في حياتي حينما كنت في بريطانيا ، فتلاحظون الخلفيّة الفلسفيّة والخلفيّة العرفانيّة والخلفيّة الأصوليّة لهذا الرجل ، الفكرة التي جاء بها جاءت عبارة عن خلاصة من كوكتيل هذا الكوكتيل فيه ما فيه من المدرسة الأصوليّة وفيه ما فيه من المدرسة العرفانيّة وفيه ما فيه من الثقافة والعلوم والمعارف الغربيّة ، فهو خلاصة استخلصها من كوكتيل ، وطرح قراءته، نظريّة عبد الكريم سروش لها عنوان معروف (نظرية القبض والبسط) وهذا العنوان عنوان صوفي ، هذه المصطلحات مصطلحات صوفيّة، القبض والبسط ، نظريّة عنوانها عنوان صوفي ، ما المراد من القبض وما المراد من البسط؟ القبض هو الإنكماش هو الإنحسار ، البسط هو التمدّد والإتّساع والإنتشار ، في مصطلحات أحاديث أهل البيت القبض هو الإدبار والبسط هو الإقبال ، نظريّة القبض والبسط وما سمعتم من كلام أحمد القبنجي هو صدقٌ وتطبيق لهذه النظرية ، نظريّة القبض والبسط يقول عبد الكريم سروش كما أنّ الإنسان في حالته النفسيّة وفي حالته العباديّة تمرُّ عليه حالة قبض إنطواء وانحسار وحالة بسط حالة انفتاح وتوسّع وانتشار ، الأُمم كذلك والمجتمعات كذلك تمرُّ عليها حالة قبض وحالة بسط ، وحالة القبض والبسط هذه أيضاً ترتبط بالمعرفة الدينيّة وأيضاً ترتبط في قضية النبوة وقضية الوحي، نظريّة شاملة، لها تطبيقات ومصاديق كثيرة ، الأساس الذي تتشكّل عليه هذه النظرية تنطلق من هذا الأساس وبعد ذلك يتفرّع على هذا الأساس تفاريع ، الأساس الذي تنطلق منه هذه النظرية أنّ الأشياء حين ننظر إليها منها ما هو لذاته، ننظر إليه لذاته، ومنها ما ننظر إليه من خلال معرفتنا المتحرّكة ، الذي ننظر إليه لذاته يكون هذا ثابت غير متحرّك والذي ننظر إليه من خلال معرفتنا يكون متحرّكاً ، هناك مرونة، هناك حركة ، الدين بما هو دين ثابت في عقيدة عبد الكريم سروش ، الدين بما هو دين ، أمّا المعرفة الدينيّة والفهم الديني فهو متحرّك ، لتوضيح المطلب أكثر يقول هكذا، العلوم الإنسانيّة متحرّكة و متغيّرة في جميع المستويات ، العلوم المختبريّة والعلوم غير المختبريّة، متغيّرة، متطوّرة، متبدّلة، الإجابات فيها عن الأسئلة تتغيّر ، التفسير فيها للحقائق يتغيّر ، هذه حقيقة، العلوم

المختبرية متغيرة ، العلوم غير المختبرية متغيرة أيضاً ، فلما تكون هذه العلوم متغيرة من الطبيعي أنها ستترك أثرها على الفلسفة الإنسانية ، الفلسفة الإنسانية هي نظرة الإنسان للكون ونظرة الإنسان لنفسه ، خلاصة المفاهيم المرتبطة بهاتين النظرتين هي هذه التي يُعبّر عنها بالجمل الفلسفة، الفلسفة الإنسانية ، إذا تغيرت العلوم وتغيرت الأجوبة وتغيرت التفسيرات العلمية وتغيرت الحقائق العلمية في إطار العلوم الإنسانية قطعاً ذلك سينعكس على الفلسفة الإنسانية يعني سينعكس على نظرة الإنسان للكون وعلى نظرة الإنسان للإنسان، لنفسه، فحينما تتغير نظرة الإنسان للكون ويفهم الكون بشكل جديد، بصورة جديدة، ويفهم نفسه بشكل جديد وفقاً للمتغيرات العلمية من الطبيعي أن ذلك سيصطدم بالمعرفة الدينية فلا بد أن تتغير المعرفة الدينية وفقاً لهذه الرؤية الجديدة للكون وللإنسان ، وعلى هذا فالمعرفة الدينية معرفة متحركة ، فحينما انتشر العلم وحينما توسع العلم وكثرت المعلومات في العلوم المختبرية وفي غيرها أيضاً، توسعت المعرفة في الفلسفة الإنسانية ، وحينما تتوسع المعرفة في الفلسفة الإنسانية ستتوسع المعرفة الدينية بشكل طبيعي، بشكل تلقائي، مع توسع المعرفة في الفلسفة الإنسانية ، أما حين تنقبض العلوم مثلاً في مقطع تاريخي سابق حين تكون دائرة العلوم الإنسانية ضيقة ستكون النظرة في الفلسفة الإنسانية ضيقة وستكون المعرفة الدينية ضيقة ، فالحركة هنا ما بين القبض وما بين البسط ، حينما تنقبض العلوم، تنقبض الفلسفة، فتنبض المعرفة الدينية ، وحينما تنبسط العلوم، تتسع وتنتشر، فحينئذ تنبسط الفلسفة الإنسانية وعلى هذا تنبسط المعارف الدينية ، فمن هنا تكون المعرفة الدينية معرفة متحركة، معرفة متغيرة ، الثابت فقط هو أصل الدين بما هو دين ، وهذه مساحة ضيقة الباقي من الدين كله يتغير ويتحرك لذلك نجد أن عبد الكريم سروش يطالب بتغيير العقائد، بتغيير الأحكام، بتغيير الفقه، بتغيير كل شيء وفقاً لهذه النظرية، وفقاً للتغير الذي يحدث فيما وصل إليه البشر في العلوم المختبرية وفي العلوم غير المختبرية بحسب الترابط الذي أشرت إليه وبينته قبل قليل ، ويتفرع على هذا في قضية النبوة، في قضية النبوة إنه ينظر إلى النبي أنه يشتمل على نصفين ، هناك النصف البشري وهناك النصف النبوي ويقول بأن ما كتبت في الجوّ الديني ما كتبه علماء الدين إنما يتحدث عن النصف النبوي وما تطرقوا إلى النصف البشري لأنّ النبي صلى الله عليه وآله عاش مع الناس الذين عاش معهم في عصره فكان يتكلم لغتهم وكان يعيش بنفس طريقتهم وكان يستعمل نفس أساليبهم في الحياة فلا بد أن ينعكس هذا على

تعاليم الدين وعلى معرفة الدين ، ولذلك أنّ الكثير من الأحكام والكثير من الآداب والكثير من السنن والكثير من القضايا حتى المعرفيّة كانت تتناسب مع ذلك المجتمع ، يقول لو كان هذا الدين بُعثَ في الهند أو في الصين لكانت هناك الآثار الهنديّة على هذا الدين ولكانت هناك الآثار الصينيّة على هذا الدين لو كان في الصين ، هذا الدين ظهرت فيه الآثار العربيّة بسبب أنّ هذا الدين كان في أرض العرب واللغة الدينيّة لغة عربيّة ، فيقول إنّ هذه الأشياء التي تتعلّق بالجانب البشري من النبيّ لابدّ أن تزول وتتغيّر ، لأنّ هذه القضية قضيّة تاريخيّة ، هذا الجانب هو جانبٌ تاريخاني لا علاقة له بالحياة في هذا العصر ، النصف النبوي وهو نصف الوحي يعني جهة الوحي من النبيّ ، هو لا يتحدّث عن نبينا فقط عن كلّ الأنبياء ولكن لأنّ نبينا هو الرقم الأوّل في الحديث لأنّ الحديث عن ديننا فالحديثُ عنه صلّى الله عليه وآله ، النصف النبوي وهو جهة الوحي في نبينا صلّى الله عليه وآله ، هو يقول بأنّ الوحي مصدر من مصادر المعرفة ولكن ما هو الوحي في نظريّة القبض والبسط؟ الوحي هو درجة عالية من درجات الإلهام ، الوحي مثل الشعر ، الوحي مثل التصوّف مثل الكشف الصوفي ، فهناك حالة إلهام شعري وهناك حالة كشف صوفي وهناك حالة نبوّة ، النبوة هي الدرجة الأعلى من الإلهام ، هذا الإلهام ليس مهمّاً أن يكون من خارج نفس النبيّ أو من داخل نفس النبيّ وهو يرجّح أنّ هذا الإلهام هو من داخل نفس النبيّ ، يقول لأنّ كلّ النفوس إلهيّة، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ يشير إلى هذه القضية لكن الفارق بين نفس النبيّ وبين غيره أنّ النبيّ أدرك هذه الحقيقة بوجهها الكامل واستطاع أن يخرجها من مرحلة القوّة إلى مرحلة الفعل ، فلمّا أخرج هذه الجنبه الإلهيّة من داخل نفسه، من باطن نفسه من مرحلة القوّة إلى مرحلة الفعل فكأنّه فنى في الله ، فهنا يظهر الإلهام في شخص النبيّ صلّى الله عليه وآله وهذا هو الوحي ، وربّما يكون هناك خطأ في الوحي والسبب يعود إلى أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قد يَضْعُفُ بشريّاً وهو لا يملك العلوم المعاصرة ، فلذلك إنّنا نجد في القرآن من الآيات التي تتعارض مع الحقائق العلميّة المعاصرة ، ويضرب لذلك مثلاً:

ما جاء في سورة البقرة الآية الخامسة والسبعون بعد المئتين: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ يقول هذا تفكير الجاهلية بأنَّ الجنون إنما يُجْنُ بسبب الشياطين ، علمياً الآن ثبت في علم الطب أنَّ الجنون له أسباب معروفة في باب الإختصاص لا علاقة لذلك بالشياطين ، فإنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جاء بهذا الكلام من عنده وإتِّمَّ جاء بهذا الكلام من عنده لأنَّ المعلومات الموجودة والثقافة الموجودة هي هذه ، فجاءت هذه الآية تشتمل على حقيقة تتعارض مع حقائق العلم ، مثلاً أشار إلى قضية السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وأنَّ هذه الفكرة مأخوذة من علم الهيئة الذي جاء متناقلاً عن اليونان وهناك كتاب معروف لبطليموس يتحدَّث في هذه القضية ، المجسطي أو غير المجسطي ، كتب نُقِلَتْ عن بطليموس وعن غير بطليموس تتحدَّث في قضية الأفلاك والأبراج والسَّمَاوَاتِ فيقول إنَّ هذه الفكرة جاءت من هناك وأمَّا في العلم الحديث لا توجد مثل هذه المعاني ، النبيُّ هنا تحدَّث عن هذه المضامين باعتبار كانت هذه جزء من الثقافة الموجودة في العالم وأمثال هذه الأمور ، الآية هنا ، وقفة سريعة ربَّما يحدث تساؤل هنا ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ﴾ لا يقومون يعني لا يتحرَّكون ، ليس المقصود لا يقومون المقصود من القيام الذي هو في مقابل الجلوس أو القعود ، مثلما جاء في سورة المائدة في الآية السابعة والتسعين ﴿جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ المقصود من (قياماً) هنا ليس المقصود قياماً أتهم يقومون على أقدامهم ، وإتِّمَّ ﴿جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا﴾ نظاماً حياتياً، هذا المقصود، منظومة الحياة ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ﴾ يعني لا تنتظم حياتهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ إذا نستمرَّ في الآية، لماذا جاء هذا الوصف ﴿ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ يقولون بأنَّ البيع مثل الربا ، البيع مثل الربا فلماذا الله سبحانه وتعالى أحلَّ البيع وحرم الربا ، القرآن هنا يقول إنَّ هذا النوع من التفكير تفكير بالمقلوب مثل تفكير المجانين ، هذا مقصود الآية ، الآية هنا لا تتحدَّث عن سبب الجنون وإتِّمَّ هو هذا الذي كان يتكلَّم فيه الناس ، الحديث هنا ليس عن قضية طبية أو قضية لتشخيص أسباب هذا المرض ، هذا كلام

متعارفٌ عند الناس مع أنّ قضية الشياطين والجان قضيةٌ حقيقيةٌ وأنا هنا لا أريد الدخول فيها ، قضية الشياطين والجان قضيةٌ حقيقيةٌ وهناك في الغرب مؤسسات ومراكز تتبّع هذه القضايا ، لكن هناك إذا شخص أراد أن يُثبت شيئاً يحاول أن يأتي بالأشياء التي تؤيّد ما يريد أن يثبتته ونفس الشيء في جهة الإنكار وأنا لا أريد الآن الدخول في هذه اللعبة فقط لتوضيح معنى الآية ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ ﴾ يعني لا تنتظم حياتهم ، لا تنتظم حياتهم وفقاً للمنطق السليم إلّا كما تجري حياة المجنون ﴿ يَخْبَطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ ﴾ التخبط هو الذهاب يمنةً ويسرى ، ليس الحديث عن الآية وإنما جئت بالآية مثلاً للكلام الذي يذكره وذكره عبد الكريم سروش في كتبه وفي أبحاثه مثل هذه الكتب التي بين يدي.

عبد الكريم سروش من أين ينطلق؟ عبد الكريم سروش ينطلق أولاً من فهم المدرسة الأصولية ، وها نحن تحدّثنا عن أنّ المدرسة الأصولية هي واقعة في حيرة بين مرحلة التنزيل والتأويل ، ففهمها ليس هو الفهم الأكمل والأدقّ والأوضح فالإشكال من هنا يبدأ هذا من جهة ، ومن جهة ثانية عبد الكريم سروش ثقافته العرفانية من خلال الكتب التي ذكرتها عناوينها كما هو يتحدّث عن نفسه ، (جامع السعادات) للراقي هذا الكتاب كتابٌ في الأخلاق وفي تهذيب النفس ، مصادر هذا الكتاب ما هي؟ مصادر هذا الكتاب: الفلسفة اليونانية، أفكار المتصوّفة، أحاديث المخالفين، تفسير القرآن بالرأي وشيء من حديث أهل البيت ، موجود الكتاب معروف إذا أردنا أن نصنّفه فيصنّف هكذا ، هو جاء بأشياء من الفلسفة اليونانية وجاء بأشياء من المتصوّفة وجاء بأشياء من حديث المخالفين وجاء بآيات قرآنية وفُسِّرت وفقاً لتفسير الرأي إمّا بتفسير المخالفين أو بتفسير الرأي من علماء أو من عنده اعتماداً على اللغة فقط دون الرجوع إلى العترة وهذا تفسير رأي ، هكذا أهل البيت ذكروا في قواعد التفسير ، وجاء بشيء من روايات أهل البيت وجعل الأساس في التهذيب والتربية هو عمل الإنسان وهذا خلاف منهج أهل البيت ، قد يكون هذا في مرحلة التنزيل أمّا في مرحلة التأويل الأساس في التربية والتهذيب هو الاعتماد على الإمام المعصوم من دون أن يعتمد الإنسان على نفسه، الإنسان يسعى ولكن النجاح والتوفيق من المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ، ربّما الإنسان يسعى ولكن لا تنجح مراميه، يتصوّر بأنّه نجح، إمّا تنجح مرامي الإنسان حينما يكون مُستنداً معتمداً على الإمام

المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ، مثلاً نحنُ حينما نقرأ في زيارة الإمام الحجّة صلوات الله وسلامه عليه ومرّ علينا هذا المقطع من زيارة الإمام صلوات الله وسلامه عليه ، كيف نخاطبه؟ (فَلَوْ تَطَاوَكْتَ الدُّهُورَ وَتَمَادَتِ الأَعْمَارُ لَمْ أُرْدَدْ فِيكَ إِلَّا يَقِينًا وَلَكَ إِلَّا حُبًّا وَعَلَيْكَ إِلَّا تَوَكُّلاً وَاعْتِمَادًا) توكلّي واعتمادي عليك ، هذا المضمون واضح جداً في أحاديث أهل البيت، واضح جداً ، قطعاً سيعترضون بأنّ التوكل على الله ، التوكل على الله صورته في مرحلة التأويل هي هذه ، هذا واضح في الروايات ، الله هو هكذا يريد منا أن نفعل ، هذا واضح في معنى الآيات في معنى الروايات في معنى الزيارات واضح جداً ، لا في مكان واحد ولا في مكانين في مئات الشواهد والأدلة على ذلك ، ولكن إذا تعاملنا مع حديث أهل البيت بالطريقة التي هم يريدونها وفقاً للقواعد والقوانين التي وضعوها لا وفقاً للقواعد والقوانين التي جئنا بها من المخالفين ولا وفقاً للقواعد والقوانين التي نستنتجها من استحساناتنا وأذواقنا الشخصية ، إذا نأتي بقواعد وقوانين المخالفين بقواعد وقوانين من استنتاجاتنا الشخصية قطعاً القضية ستكون في اتجاه آخر ، أنا الآن لا أريد الدخول في كلّ هذه التفاصيل، هذه التفاصيل ستأتي في محلّها ، لكن عبد الكريم سروش من أين أخذ؟ أخذ من المدرسة الأصوليّة والمدرسة الأصوليّة بقيت مُتحيّرة ما بين التنزيل والتأويل ، قطعاً ستكون النتائج التي تصل إليها متحيّرة ، وأخذ من المدرسة العرفانيّة ومعتمد على هذه المصادر التي تأثّر بها (جامع السعادات)، (الأسفار) لملاً صدرا، (الأسفار) لملاً صدرا هو جُماعُ بين الفلسفة اليونانيّة المشائيّة والفلسفة اليونانيّة الإشراقية وبين ما قاله المتصوّفة وبين ما توصّل إليه عقله وبين نصوص المخالفين وبين أحاديث أخذها من أهل البيت وآيات قرآنيّة فسّرها وفقاً للكشف بحسب ما يقول وخلط هذا جميعاً فسّماه منهج الحكمة المتعالية ، الحكمة المتعالية هي جُماعُ وخليطٌ لكلّ هذه المعاني ، فلسفة يونانيّة بمشارب مختلفة لأنّ الفلسفة اليونانيّة مشاربها مختلفة ، المشائيّة ، الإشراقية ، الرواقية ، مشارب مختلفة موجودة ، الفيثاغوريّة ، من هذه المشارب جاء بآراء وجمع إليها أيضاً آراء الفلاسفة من المسلمين مثل ابن سينا وغير ابن سينا ممّن أيضاً هم جاءوا بجُماعٍ من مختلف المدارس الأخرى وأضاف إلى ذلك ما قاله المتكلّمون وما قالته الصوفيّة وما استنتجه ابن عربي وما جاء في أحاديث المخالفين وجاء بشيءٍ من القرآن ومن حديث أهل البيت وما وصل إليه عقله وما وصل إليه في مكاشفاته

وهذه النتيجة ، ولكن عمدة ما في الكتاب مأخوذ من ابن عربي ، علي حرب هو تقريباً في الخطوط العامة الفكرية يقترب من عبد الكريم سروش وإن كان هو يقول أنا علماني ، عبد الكريم سروش يقول أنا إسلامي، ولكن له كلمة مقابلة مع جريدة الشرق الأوسط في القاهرة ، قبل مدة تحضري كلمة قالها علي حرب ، قال أنا سليل القرآن، سليل آيات القرآن، هو يقول عن نفسه بأنه هو يفهم القرآن أكثر من المتدينين، ربما يكون صادقاً في بعض الحالات أنا لا أريد أن أناقشه ، يقول أنا سليل آيات القرآن و سليل أفلاطون وابن عربي وميشال فوكو قد يأتي الحديث عن ميشال فوكو فيلسوف ومفكر فرنسي ، ربما حينما نصل للحديث عن النظرية القصدية للمفكر العراقي عالم سبيط النيلي قد يأتي ذكر ميشال فوكو ، يقول أنا سليل آيات القرآن وأفلاطون وابن عربي وميشال فوكو ، نفس القضية تقريباً موجودة عند عبد الكريم سروش ، هو جُماعٌ من كل هذه ، على أي حال.

أعود لكتبه التي يهواها ويعشقها ، أما كتاب المحجة البيضاء فقد مرّ الكلام عنه ، هو في الأصل إحياء العلوم للغزالي ، إذا تتذكرون في الحلقات الماضية قرأت على مسامعكم مقطعاً من إحياء العلوم في قضية عدم جواز لعن قاتل الحسين عليه السلام إلا بشرط أن نقول أن لم يُتّب ، ومن دون ذكر إسم ، فهو يعشق هذه الكتب فماذا يخرج من هذه الكتب؟ وكان الحديث أيضاً عن كتاب ديوان جلال الدين الرومي وأنا أشرت بأنّ جلال الدين الرومي رجل ناصبي ، هم يقولون شيعي ، ولكن في ديوانه هناك استهزاء من قضية الحزن والبكاء والمصاب على الحسين عليه السلام في نفس ديوان جلال الدين الرومي ، وحتى حافظ الشيرازي أول بيت في ديوانه الشعري، ديوانه باللغة الفارسية لكن أول صدر وأول بيت يأخذه من شعر يزيد بن معاوية:

ألا يا أيها الساقى أدر كأساً فناولها

يدافعون عن هذه القضية ويقولون بأنّ ديوان حافظ يمثل القرآن الشعري وغير ذلك كلام كثير طويل عريض أنا لا أريد الدخول في هذه القضية ، لكن هذه هي الخلفية التي جاء منها عبد الكريم سروش، وكان حديثنا عن المدرسة العرفانية وأنّ العرفان صحيح يفتح الأذهان وكان حديث عن أنّ العرفان للناجحين الذين ينجحون في هذا المسلك يصلون إلى حالة النقاء وما بعد النقاء حينئذ يمكن أن يتشخص مسير الإنسان في

أيّ اتجاه ، هل سيذهب في الاتجاه الصحيح أو هل سيذهب في الاتجاه الخاطئ وكل ذلك إنّما هو في مرحلة أفق الغيب، في المرحلة الأولى، نفس الكلام الذي مرّ عن عفريت من الجن ، أمّا الغيب الذي تحدّث عنه أصف بن برخيا فلا علاقة له بهذه الآفاق فحتى تجربة عبد الكريم سروش هي في هذا الأفق في الأفق الذي يقبل الخطأ والصواب ولأنّه تذوّق هذه المعاني في الجوّ العرفاني أخذ يتخيّل بأنّ الوحي وأنّ النبوة هي من هذا النحو من الكشف والإلهام الذي يتلمّسه العارف والمتصوّف والمرتاح في هذا الأفق من الغيب ، لا في ذلك الأفق الثاني لأنّ الأفق الثاني أصلاً لا يتصوّره وهو يعْتَبِرُه غلّواً ، هذا الحديث الذي تحدّث فيه سابقاً وسأحدّث فيه لاحقاً، في نظر عبد الكريم سروش هذا غلو وهذا الحكم جاء به من المدرسة الأصولية ومن المدرسة العرفانية ، لذلك أنا اخترت الحديث عن الدين العلماني واخترت بالذات عبد الكريم سروش لأنّ عبد الكريم سروش وجه إسلامي ، عبد الكريم سروش من قادة الثورة الإسلامية في إيران ، في بدايات الثورة الإسلامية كان هناك مشروع اسمه الثورة الثقافية (انقلاب فرهنگي)، انقلاب فرهنگي يعني الثورة الثقافية ، كان عبد الكريم سروش ممثّل السيّد الخميني في هذه القضية في تفعيل الثورة الثقافية في الجامعات ، شخصيّة مرموقة ومعروفة جداً ، ولكن الخلفيّة التي أخذ منها بالنسبة لعقليّة متفتّحة ولرجل في غاية الذكاء ما أقنعتُهُ وفعلاً هي غير مُقْنَعَة ، النتائج الخارج من المدرسة الأصولية نتاج سطحي جداً ، إذا كان الناس الذين يعيشون في جوّ هذه المدرسة لا يتكلّمون لأنهم محكومون بالتقديس وقضيّة الصنميّة فهناك سطحيّة في هذه المدرسة وأمّا المدرسة العرفانية فهي تنهّل من خطّ بعيدٍ عن أهل البيت ، ولذلك هو عبد الكريم سروش يُفْرَع بعد ذلك، يقول: فإذا كانت النبوة بهذا الوصف وهي النبوة الخاتمة فهذا يعني أنّه لا وجود لإمامٍ من بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله ، فهذا الكلام الذي سمعتموه قبل قليل من أحمد القبنجي إنّما هو صدئ لهذه النظرية فيقول بأنّه ما بعد النبوة لأنّها نبوة خاتمة لا يمكن أن تكون هناك إمامة وإمّا القضية ترجع إلى الأمة والأمة تعيش حالة قبض وبسط إذا ما تطوّرت العلوم وانتشرت العلوم وترقّت مدارك الأمة في هذا الجانب، تترقى مداركها في الفلسفة الإنسانيّة وبالتالي تترقى مداركها في فهم الدين وفي المعرفة الدينيّة وفي قراءة النصّ الديني ، القضية من هنا بدأت ، هو لا يقول بأيّ لست إسلامياً يقول أنا إسلامي ، يقول أنا متديّن ولكن الدين لا بدّ أن يُقرَأ وأن يُفهم بهذه الصورة وبهذه الصيغة ، هذه القراءة وهذه الصيغة جاءتنا من هناك والمشكلة

هناك مردها أين؟ إلى قضية التنزيل والتأويل ، مدار القضية ما بين التنزيل والتأويل ، بقية التفاريع ليست مهمة، يعني بقية الإشكالات إن كان في باب العبادات أو في باب المعاملات أو في باب الحدود والأحكام هذه قضايا فرعية، الإشكالات فيها تهون ويمكن أن تُناقش بأكثر من وجه لكن أصل المسألة وأصل القضية مردها إلى هنا ، هذا الرجل منابعه أصولية عرفانية مع ثقافة غربية ، وجد السطحية واضحة في المدرسة الأصولية ووجد الفهم الآتي من ابن عربي ومن المخالفين في المدرسة العرفانية وأضاف إليه الثقافة التي يحملها، الثقافة الغربية، جمع كل هذا فخرج بهذه النظرية بنظرية القبض والبسط والتي يترتب عليها أنه لا وجود للإمامة وبالتالي لا وجود للإمام الحجة صلوات الله وسلامه عليه ، الإمامة منتفية ، النبوة أيضاً في بعدها البشري ما فعله النبي سُنَّته تتناسب مع ذلك العصر ففي هذا العصر لابد أن يكون شيء آخر ، أما في جانب النبوة، في جانب الوحي، فإنّ الوحي يتأثر أيضاً بمعلومات النبي ولذلك حين تحدّث القبنجي عن قضية الجنة وأنها تتناسب مع ذلك العصر، صحيح القرآن يخاطب الأمم ويخاطب الأمة ما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومه، ولكن القرآن له آفاق ، هذا هو فهم القرآن في مرحلة التنزيل ومشكلتنا هنا لأنّ علماءنا ما فهموا القرآن في مرحلة التأويل ففهمهم فهماً سطحياً فجاء هؤلاء فتصوّروا أنّ نهاية الدين وأنّ نهاية الأمر هي هذه ، فقالوا بأنّ الدين ناقص ، الدين ناقص بهذا التصور ، وعلى أيّ حالٍ أعتقد أنّ الجهة التي أردتُ الحديث عنها، تحدّثتُ عنها ، أنا هنا لم يكن من هديني أن أناقش عبد الكريم سروش لا علاقة لي به لأنّ هؤلاء أناس ومجموعة لا تعتقد أصلاً بإمام زماننا لا علاقة لها بالإمام ، هؤلاء أناس يُعنون في وادٍ وأنا أُعني في وادٍ آخر ، أنا هنا لست بصدد أن أناقش كلّ فكرة ، هديني الأوّل والأخير أن أوضّح الطريق لمن يريد أن يرى الطريق ، وإلا أنا أعتقد أنّ الأكثر يرفضون كلامي ، ما زال مرض الصنمية والتقدّيس يُعشعشع في الوسط الشيعي فلن يلتمسوا طريقاً صحيحاً إلى الصواب ، حديثي هنا في هذا الجوّ في جوّ الطريق الذي يمكننا أن نقرب شيئاً ، أنا لا أدعي الصواب في كلّ شيءٍ ولا أدعي العصمة ولا أقول بأنّ الدين الصحيح الكامل هو في فهمي وعندني أبداً ، إنّها محاولة أن أكون أقرب من هذه المدارس التي ابتعدت عن أهل البيت وأسألت إلى أهل البيت ، محاولة فقط ، إنني أريد أن أتبرأ من هذا الجوّ، أن أخرج من هذا الجوّ الذي يُسيء إلى أهل البيت، ومرّت الإساءات ولكن الإساءات الكبيرة آتية في الطريق في الحلقات القادمة ، الحلقات الأخيرة هي التي ستّضح

فيها الإساءات الكبيرة التي كتبها ويعتقد بها علماء الشيعة ومن مختلف المدارس ، هديني من هذا الحديث لا عبد الكريم سروش ولا أحمد القبنجي ولا أي واحد آخر ، لكن الحديث وصل إلى هنا لأنّ الدين العلماني أو الليبرالي أو المدني سببه ومنشأه من هنا ، هذا في البعد الفكري ، أمّا في البعد العملي فهناك قضايا أخرى ، أحد هذه القضايا الفساد في المؤسسة الدينية ، أحد هذه القضايا الظلم في الحكم الإسلامي ، عوامل كثيرة ، أنا لست بصدد مناقشة هذه المطالب لأنّ هذا ليس من شأني وليس من اهتماماتي ، وإلاّ أحد أسباب وجود هذه النظرية هو الفساد في المؤسسة الدينية ، هناك فساد في المؤسسة الدينية ، فساد ديني ، مالي ، أخلاقي ، إداري ، معرفي ، موجود فساد في المؤسسة الدينية ، هناك فساد موجود وهناك ظلم أيضاً في الحكم الإسلامي موجود في كلّ مصاديق الحكم الإسلامي والحكومات الإسلامية وهذا شيء طبيعي ، نحن لا نتوقع من حكومة غير المعصوم أن تكون معصومة ، الظلم موجود في كلّ العالم ولكن قد يكون أكثر في هذا البلد من ذلك البلد وإلاّ الظلم موجود في كلّ العالم ، لا توجد دولة في العالم ليس فيها ظلم لكن درجات الظلم صاعدة ونازلة ، والبرنامج هنا ليس منعقدًا لبحث المسائل السياسيّة والحكوميّة والاجتماعيّة لذلك هذه القضية لا أهتمّ فيها ، بحثنا بحث عقائديّ محض ، بحث معرفيّ محض ، لا شأن لي بهذه التفاصيل الجانيّة لكنني أوردت هذه القضية حتّى تكون الصورة كاملة بأنّ البواعث على هذه النظرية هذه العوامل ، العامل الأوّل عامل معرفيّ وهو السطحيّة في المدرسة الأصوليّة والانحراف عن أهل البيت في المدرسة العرفانيّة والفكر الغربيّ الأخاذ والساحر بسبب هذا التطور العلمي والتقني التكنولوجي الهائل الذي يثبت صدقه أمام أعين الناس يوماً بعد يوم ، يُضاف إلى ذلك الفساد في المؤسسة الدينية والظلم في مؤسسات الحكم الإسلامي ، هذه الأسباب هي التي دفعت بعبد الكريم سروش وأمثال عبد الكريم سروش لطرح هذه النظرية وأنا لا أعبأ بهذه الأسباب ، السبب الوحيد الذي أعبأ به أنّ هذه النظرية هي من آثار الحيرة عند علماء الشيعة ما بين التنزيل والتأويل هذه النظرية تولّدت من هنا وأنا اخترت قراءة شيعيّة ، ما ذهبت إلى قراءة محدّ أرغون مثلاً أو سيّد القمني أو أبو زيد وغير هؤلاء من الأسماء ، ما ذهبت إلى تلك القراءات ، ذهبت إلى قراءة شيعيّة وقراءة من الواقع الشيعي لمفكّر خرج من الواقع الشيعي ، لهذا السبب لأنّ القضية مرتبطة بمسألة التنزيل والتأويل ، هناك حيرة عند علماء الشيعة ما بين مرحلة التنزيل ومرحلة التأويل ومن مصاديقها هو هذا الواقع الذي نحن

نلاحظه ونشاهده ، لكنني لا أترك مناقشة النظرية في خطوطها العامة ، في الخطوط العامة أناقش نظرية عبد الكريم سروش ، أقول بأنه الآن العلوم المعاصرة العلوم المختبرية وحتى غير العلوم المختبرية لكن دائماً حينما نتحدث عن العلوم يذهب الذهن إلى العلوم المختبرية، إلى العلوم التي صار علم الإلكترونيك هو سيدها، هو أبوها ، قديماً كانوا يقولون عن الفلسفة هي أم العلوم لأن الهندسة كانت من أجزاء الفلسفة ولأن الفيزياء كانت من أجزاء الفلسفة وحتى الرياضيات وكثير من العلوم كانت تنطوي تحت هذا العنوان، عنوان الفلسفة، لذلك يُقال بأن الفلسفة قديماً هي أم العلوم ، الآن في عصرنا الحاضر الإلكترونيك صار هو أبو العلوم لأن علم الطب الآن لا يمكن أن يكون طباً من دون علم الإلكترونيك، الهندسة كذلك ، كل علم من العلوم ، الفلك كذلك ، كل العلوم تحتاج إلى علم الإلكترونيك فهو أبو العلوم في الوقت الحاضر لأن كل العلوم تعتمد على وسائل وآليات وأجهزة وإلى غير ذلك وكل تلك لا يمكن أن تتحقق من دون حاضنة الإلكترونيك، علم الإلكترونيك ، فحينما يُتحدث عن العلوم، الإلكترونيك وتفرع هذا العلم وتطبيقات هذا العلم ، هذه العلوم المعاصرة والتي أثبتت مصداقية لتطبيقاتها في الحياة وتغيّرت حياة البشر بسبب هذه العلوم وهذا يدل على مصداقية هذه العلوم، الدليل هي النتائج والتطبيقات ، هذه العلوم ما هي وسيلتها؟ ما هو منهجها في البحث؟ على أي شيء تعتمد؟ هذه العلوم تعتمد على الملاحظة ، يعني ما هو المنطق ما هو الأسلوب الذي تعتمد عليه هذه العلوم ، تعتمد هذه العلوم على الملاحظة والملاحظة في هذه العلوم على نوعين، هناك ملاحظة ميدانية وهناك ملاحظة مقتضبة غير ميدانية ملاحظة مختصرة في مكان معين ، يعني مثلاً الآن من يريد أن يدرس ظاهرة المد والجزر لابد أن يذهب قريباً من البحار ويدرس هذه الظاهرة، تحتاج إلى مشاهدة، إلى رصد، إلى مراقبة، متابعة وكتابة ملاحظات ودراسة الزمان والمكان والطقس و... ، فهذه هنا ملاحظة ميدانية، يذهب العالم والباحث إلى نفس الميدان، من يريد أن يجري دراسة حول الغابات لابد أن يذهب إلى الغابات للتحقق من موضوع معين لابد أن يذهب بنفسه إلى الغابات مصحوباً بوسائله للتحقق وللتأكد من قضية أو لدراسة ظاهرة من الظواهر لكن هناك أشياء لا يمكن أن يذهب إليها الإنسان لابد أن تُجرى عليها الأبحاث والتجارب في المختبر ونفس الشيء التجارب والأبحاث التي تُجرى في المختبر أيضاً تتوقف على الملاحظة والمشاهدة والمراقبة والرصد وإلى آخره.

الخلاصة أنّ هذه العلوم أساساً ثبتت مصداقيّتها العمليّة والتقنيّة والهندسيّة وظهرت آثارها في حياة الإنسان وفي الواقع اليومي بسبب ماذا؟ بسبب هذا المنهج الملاحظ والمشاهدة والمتابعة والتجربة الحسيّة والمراقبة والرصد والمقارنة وإلى غير ذلك ممّا يدور في هذا الأسلوب وفي هذه الطريقة ، لكن في نفس الوقت هل العلماء الذين وصلوا إلى هذه الحقائق الآن يملكون جواباً للسبب الذي أوجد هذه العلاقات بين الأشياء؟، يعني حينما مثلاً العالم يجد هناك علاقة بين المد والجزر وبين القمر، حينما يجد هذه العلاقة، هو من خلال الرصد والمتابعة والمشاهدة والتدقيق والتطبيق وغير ذلك وصل إلى حقيقة، أو نفس الشيء أي تجربة مختبريّة، وصل إلى حقيقة وإلى نتيجة صحيحة وكرّر هذا الأمر إلى أن حصل اليقين من هذه القضية لكن هل يستطيع العالم بنفس هذه الطريقة، من طريق الملاحظة والمشاهدة يعطينا جواب لسؤال من الذي أوجد العلاقة بين هذا الشيء وهذا الشيء، العلاقات بين هذه الأشياء؟ ، مثلاً هذا التفاعل الكيميائي لمّا حدث من خلال التجربة والمشاهدة والرصد يتحقّق العالم من أنّ التفاعل حدث في الظروف الكذائيّة إن كان في درجة حرارة مُعيّنة أو كان في درجة من الضوء مُعيّنة أو كان ضمن عوامل ثانويّة جانبيّة عوامل مساعدة أدّت إلى حدوث هذا التفاعل ولكن هل تستطيع هذه الطريقة أن تحدّد لنا من الذي أوجد هذه العلاقات؟ هذا سؤال لا جواب له ، هذه العلوم علوم حقيقيّة ولكن هذه العلوم حقيقيّة في جهة الآثار، في جهة الآثار الماديّة على حياة الإنسان في الواقع اليومي لكن هذه العلوم هل تستطيع أن تجيب وحينما تسأل العلماء هذا السؤال يقولون هذه قضية خارجة عن البحث ، يعني لو يأتي شخص ويفترض يقول إنّ الذي سبّب هذه العلاقات هي الطبيعة ، الطبيعة هي التي سببت هذه العلاقات ، لا يستطيع هذا المنهج أن ينفي هذا الجواب ولو يأتي آخر فيقول بأنّ الذي سبّب هذه العلاقات هو الله لا يستطيع هذا المنهج أن ينفي أو يُثبت ، لا يستطيع أن ينفي أو يُثبت القول الأوّل ولا يستطيع أن ينفي أو يُثبت القول الثاني أو قول ثالث أو رابع ، لأنّ هذه القضية خارجة عن التجربة وخارجة عن الملاحظة ، بعبارة أخرى الأسباب في وجود هذه العلاقات والروابط غيبية ، هم العلماء يقولون هذا وعبد الكريم سروش هو أستاذ في فلسفة العلوم، وفلسفة العلوم قائمة على هذه البديهيّات وعلى هذه الأوليّات ، فلسفة العلوم ما هي؟ فلسفة العلوم فلسفة حديثة تدرس القيمة العلميّة أو القيمة المعرفيّة لمّا تنتج هذه العلوم ، فلسفة العلوم علم فلسفي يدرس القيمة المعرفيّة

والقيمة العلميّة للنتائج التي تتوصّل إليها العلوم ، فحينما تدرس فلسفة العلوم النتائج العلميّة لأيّ علمٍ من العلوم نتائج موجودة على أرض الواقع ، لكن حينما نريد أن نذهب إلى ما وراء هذه النتائج ونسأل عن الذي أوجد هذه العلاقات بين الأشياء لا نستطيع أن نجد جواباً عند هذه العلوم ويبقى هذا السؤال مفتوحاً وحينما تُطرح الفرضيات أو النظريات عبّر ما شئت، هذا المنطق لا يستطيع أن ينفي ولا يستطيع أن يُثبت ، فحينئذٍ كيف يمكننا أن نعتمد على نتائج الواضح منها هو نصف الصورة والنصف الثاني غير واضح ، كيف يُعتمد على نتائج الواضح منها نصف الصورة ، النصف الثاني وهو الماورائية غير واضحة ، القضية أصلاً تذهب إلى ما هو أبعد ، أبعد من ذلك ، منطلق هذه العلوم في الغالب ينفي السببية ، وإنما يقول بالإقتران، هذه العلاقات وهذه الإرتباطات هي إرتباطات اقترائية، يعني هذا الشيء بحسب التجربة أذى إلى شيء آخر، ليست هناك سببية ، حتّى لو قيلت فهذا كلام يُقال العادة اقتضت هكذا ولكن في العمق العلمي لا يمكن أن نقول بأنّ هذا الشيء سبب لهذا الشيء وإنما هناك اقتران بين هذا الشيء بين (أ) وبين (ب) ، في مثل هذا الجوّ ، أنا لا أريد أن أدخل في تفاصيل كلّ صغيرة وكبيرة ، في مثل هذا الجوّ هل تكون الصورة كاملة؟ لا تكون الصورة كاملة ، وإنما هذه صورة خادعة ، صحيح هذه العلوم والتقنيّات لها فضل ولها واقع ولها آثار ولا ينكرها أحد ، هذه العلوم إنّما تستجيب للحاجات اليوميّة لكنّها لا تجيب عن الحاجات العقليّة والفكريّة ، هذا شيء ثانٍ ، والنظرية المفترضة هنا، نظرية القبض والبسط، نظرية تعطي جواباً للعقل، ليست نظرية في علم الكيمياء ولا نظرية في علم الفيزياء، إنّها نظرية للعقل بعبارة أخرى دين ، قراءة للدين، فهم للدين ، فحينما يكون فهم للدين هذه العلوم الساحرة والتي سحرتنا بآثارها وبإنجازاتها وغيّرت الحياة ، الحياة آلاف المرّات ، الحياة الآن لا تشبه الحياة قبل مئة سنة هذه حقيقة ، ولكن هذه استجابة لحاجات الإنسان اليوميّة، لمعاشه اليومي، لحاجاته اليوميّة ، هذه العلوم غير قادرة أن تعطي جواباً للعقل الإنساني ، هذه العلوم غير قادرة أن تعطي جواباً لروح الإنسان ، يمكن أن تكون قادرة لو أنّ علماءها اتّخذوا منهجاً آخرًا، أدخلوا بعداً آخرًا، ذهبوا وراء الأسباب ، ووراء حقيقة العلاقات والروابط بين الأشياء ، يمكن أن تأخذ منهجاً ثانياً ، السيّد محمّد باقر الصدر رضوان الله تعالى عليه في كتابه (الأسس المنطقيّة للإستقراء) وأيضاً لعبد الكريم سروش دراسة ومناقشة ونقد لما كتبه السيّد محمّد باقر الصدر وأنا هنا لست بصدد الدخول في

كلّ التفاصيل وإلا هو من أوائل الذين ناقشوا وانتقدوا وبحثوا في هذا الموضوع ، عبد الكريم سروش لكتاب السيّد محمد باقر الصدر ، لكن أقول أنّ السيّد محمد باقر الصدر إعتقد هذا المنهج وهذا المنهج منهج صحيح لو يُطبّق في هذه العلوم ، أيّ منهج؟ قال بأنّ كلّ الحقائق العلميّة ثبتت عن أيّ طريق؟ عن طريق التراكم ، أي حقيقة من الحقائق العلميّة الآن الموجودة ، سواء كانت هذه الحقيقة العلميّة دُرست في الواقع الخارجي أو دُرست في المختبر ، بسبب المشاهدة والتكرار يأتي العالم يأتي الباحث تتكرّر أمامه الصورة لمراتٍ كثيرة، فحينما تتكرّر الصورة في كلّ مرّة، تتكرّر هذه الحالة في كلّ مرّة يكون عندنا (+١) لثبات الصورة و(-١) للطرف المناقض وهو عدم وجود هذه الحالة ، الحالة تتكرّر مرّة ثانية يكون (+١) و (-١) باعتبار أنّ الحالة تكرّرت ونفيها هو الذي تحقّق (-١) أما الحالة تكرّرت ، فحينما تتكرّر (+١) (+١) (+١) وفي الطرف الثاني (-١) (-١) يحصل اليقين عند الإنسان بثبوت هذه الحالة أو هذه الظاهرة العلميّة أو هذه الحقيقة أو هذه النتيجة ، وهكذا ثبتت هذه العلوم والدليل على أنّ هذا المنهج صحيح هو هذا التطوّر العلمي الهائل وهذه التقنيّات الهائلة ، وهذا ظهوري بصوتي وصورتي هو دليل على صحّة هذه العلوم وعلى دقّة هذه التقنيّات وعلى صحّة هذا المنهج ودقّة هذا المنهج إذاً هذا المنهج صحيح ، حينما يكون هنا تراكم وتعاضد وتعانق للمشاهدات وللحالات المتكرّرة فهذا المنهج ثابت في كلّ هذه العلوم ، إذا ثبتت الحقائق بهذه الطريقة ، لماذا حينما يكون الحديث عن الله سبحانه وتعالى فنقول هذا المخلوق هنا كامل لا بدّ له من خالق وهذا المخلوق الثاني كامل وهذه الظاهرة كاملة وهذا الكوكب وذلك وذلك وتلك الخليّة وهذه الذرّة و إلى ملايين إلى مليارات من الحالات حينما تتراكم هذه الحالات (+١) (+١) (-١) (-١) فماذا يثبت؟ يثبت التوحيد ، بنفس هذا المنهج ، نفس هذا المنهج العلمي الذي ثبتت به الأمور المخبريّة والحسيّة والتجريبيّة، إذا كانوا يقولون بأنّ القضايا الغيبية لا يمكن أن تثبت ، يمكن أن تثبت بنفس هذا المنهج ، وكتاب السيّد محمد باقر الصدر هو لأجل إثبات هذه القضية أنّه يمكن أن تثبت القضايا الغيبية بنفس الطريقة التي تثبت بها العلوم الحسيّة والتجريبيّة وهذا الأمر ينجر على قضية إثبات النبوة وقضية إثبات الإمامة وقضية إثبات الإمام الحجّة صلوات الله وسلامه عليه، وبقيّة القضايا الغيبية يمكن أن تثبت بنفس هذه الطريقة ، أنا لا أريد هنا أن أتوسّع في كلّ صغيرة وكبيرة ، لذلك أقول بأنّ مبادئ هذه النظرية تحتاج إلى تدقيق أولاً

المدرسة الأصولية أخذت قسماً من النصوص، من نصوص أهل البيت ، فالمعطيات ناقصة نتائجها ناقصة فالإعتماد على نتائج ناقصة يؤدي إلى نتائج ناقصة أيضاً ، المدرسة العرفانية ذهبت باتجاه ابن عربي وأمثال ابن عربي ، وذهبت بعيداً عن أهل البيت ، أيضاً هذه نتائج ناقصة ، العلم المعاصر صحيح أنّ له آثار مبهرة لكنّه لا يُجيب على الأسئلة الغيبية وأنت تتحدّث عن نظرية دينية، النظرية الدينية لا يمكن أن تكون بعيدة عن الغيب ، حتّى هذا القرآن الذي أنت تؤمن به ولكن تقول لا بدّ أن يفهم بطريقة جديدة ، هناك مواقع في القرآن لا يمكن أن تُغيّر فهمها ، قد تقول بأنّ الحدود والعقوبات الجسدية كانت تتناسب مع عصر النبيّ والآن لا بدّ أن تتغيّر يمكن أن يقبل البعض هذه القضية ويمكن أن ندخل في نقاش حولها ولكن هناك مثلاً حين تفتح أوّل صفحتين من القرآن الكريم فحين تقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هذه الآية لا تحتاج إلى تبديل أو إلى تغيير إذا كنت مسلماً، (إيّاك نعبد) عمل أقوم به أنا، لكن (إيّاك نستعين) هذا بُعد غيبي، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ السعي على الصراط المستقيم عمل أقوم به أنا لكن الهداية شيء غيبي ، الغيب لا ينفك عن الدين ، هذه الصفحة الأولى من القرآن: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ *اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ، الصفحة الثانية: ﴿الم﴾ *ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ما هي صفتهم؟ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ أول صفة من أوصافهم ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ما هو هذا الغيب؟ هل هو القرآن ، القرآن مذكور بعد ذلك ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ديانات السابقة والقرآن ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يوم القيامة مذكور ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ هناك غيب هناك جنبه غيبية إذا كنت مسلماً وكنت تقرأ القرآن ، هذا الغيب ليس هو الذي تتلمسه في طريقتك العرفانية ، هذا الغيب الذي ذكّر هنا هناك غيب يستطيع الإنسان أن يتلمسه بسبب من الأسباب وهناك غيب كما في سورة الجنّ والآية واضحة: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ فهل أنت من أهل هذه الآية ، إذاً هناك غيب، ستقول بأيّ لا أنكر الغيب ، أنت تنكر الغيب حين تُنكر النبوة وتُصوّر النبوة بهذه الصورة السطحية ، وأنّ

الإلهام خارج من داخل نفس النبيّ ولا يوجد فارق بين أن يكون من خارج نفسه أو من داخل نفسه وتقول بأنّ الصوفيّة تعتقد بذلك فلماذا تأخذ بكلام الصوفيّة؟! وتقول بأنّ العديد من العرفاء، العرفاء هم أخذوا من الصوفيّة يعتقدون بذلك ولكنهم لا يتكلّمون كلامك، صحيح هناك من العرفاء وفي المدرسة العرفانيّة الشيعية من يعتقدون بنفس هذه العقيدة ولكن المدرسة العرفانيّة لا علاقة لها بأهل البيت فيها أشياء من أهل البيت ولكن الأشياء الأخرى ما جاءت من أهل البيت ، أنت تريد أن تناقش ديناً كتبه العلماء؟ لك الحق في ذلك ، أمّا دين أهل البيت أنت ما فهمته فلماذا تناقش شيئاً أنت ما فهمته ولا سمعت به وإنما سمعت ودرست وقرأت ديناً كتبه العلماء والذي كتبه العلماء فيه ما فيه من أهل البيت وفيه ما فيه من فهمهم (من فهم العلماء) ، ليس متوفراً عندنا منظومة يُعرض فيها العقل الأهل بيتي ، نحن بحاجة إلى منظومة يُعرض فيها العقل الأهل بيتي ، كيف نفكر وفقاً لطريقة أهل البيت لا كيف نفكر وفقاً لكوكتيل يؤتى بقسم من هنا وقسم من هناك ، وهذه هي المشكلة ، في بعض الأحيان تغيب عن ذهن الإنسان حقائق واضحة ، هناك شيء مُجمل في العقيدة الشيعيّة وهو أنّ الإمام الحجّة صلوات الله وسلامه عليه لا بدّ أن يظهر وحين يظهر سيأتي بأمرٍ جديد وأنّ الدين لا يظهر بوجهه الكامل إلّا في زمانه ، لأنّ الآية واضحة: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ما ظهر إلى الآن ، فلا تظهر صورته الكاملة حتّى يُظهِرَهُ على الدين كلّهُ ، المعطيات ناقصة ، إذاً كيف تُشكّل قراءة وتُشكّل ديناً على معطيات ناقصة ، تريد أن تقول بأنني شكّلتُ هذا الدين وفقاً لقراءة المدرسة الأصوليّة والعرفانيّة وللثقافة الغربيّة، أنت حرٌّ في ذلك هذه قضية تخصُّك ، الغربيون أنفسهم، مُفكّرو الغربيين أنفسهم هم واقعون في حيرة، لا أتحدّث عن علماء العلوم المختبريّة ، الإلحاد الآن صار علماً وهناك مراكز ومؤسّسات ودراسات وبدأت المدرسة الإلحاديّة في الغرب تعتمد على العلوم الحديثة اعتماداً كاملاً ، لكنّها تعتمد على أيّ جهة؟ نفس الجهة التي أنت اعتمدت عليها، الجهة التطبيقية لهذه العلوم، ليست الجهة الماورائية.

فيلسوف بريطاني معروف وأعتقد مات في أيام قريبة من فلاسفة بريطانيا وحتماً قرأت عنه وسمعت عنه أقول لعبد الكريم سروش ، هو إسم معروف ولا مع (سير أنتوني فلو) زعيم الإلحاد في العالم ، الرأس الصعب والرقم

الصعب في مجموعة الإلحاد العالمي، كُتِبَ أكثر من ثلاثين كتاب كتب مفصّلة وبحوث مفصّلة عنيدة وقويّة جداً في الإلحاد ، عاش يدافع عن الإلحاد خمسة وستين سنة ، إلى ال ٢٠٠٥ ، إلى ال ٢٠٠٥ أو قبل ال ٢٠٠٥ بفترة قصيرة أعلن إيمانه بوجود إله، أقرأ مقطعاً ممّا قاله وهو يتحدّث عن العلم والحكمة ، هناك علم وهناك حكمة ، قصّته فيها عبرة كبيرة لأنّه كتب وكتب وكتب في الإلحاد بشكلٍ قد يُقنع الكثيرين وفجأة متى؟ لمّا بلغ الثمانين من العمر وإذا به يتراجع عن كلّ ما كتب ، يقول: تصوّر أنّ بعض رجال قبيلة بدائيّة وجدوا على شاطئ جزيرتهم المنعزلة هاتفاً محمولاً يعمل عن طريق الأقمار الصناعيّة، أخذ الرجال البدائيون يضغطون على مفاتيح أرقام الهاتف في تتابعات عشوائيّة، كانوا في كلّ مرّة يسمعون ضوضاء مختلفة بأصوات مختلفة، كان تفسيرهم الأوّل أنّ هذه الأصوات تأتي من داخل الهاتف _ أنت تصوّر بدائيّون في جزيرة منعزلة، وجدوا جهاز موبايل من النوع الذي يعمل على القمر الصناعي ، أخذوا يضغطون على الأزرار بشكل عشوائي بعض الأحيان يصيرون رقماً فيسمعون أصواتاً، كيف فسّروا هذه القضيّة؟ _ كان تفسيرهم الأوّل أنّ هذه الأصوات تأتي من داخل الهاتف بعد محاولات عديدة لاحظ بعضهم _ هو يضع بين قوسين علماء القبيلة يعني أهل العلم فيهم _ بعد محاولات عديدة لاحظ بعضهم (علماء القبيلة) أنّهم يحصلون على نفس الضوضاء وبنفس الصوت إذا ضغطوا على مفاتيح الهاتف بنفس التابع _ يعني نفس الأماكن التي ضغطوها، إذا ضغطوا مرّة ثانية يخرج نفس الصوت _ فتوصّلوا إلى أنّ هذا الشيء المكوّن من الزجاج والمعدن ذا الألوان الزاهية الذي يُصدر ما يشبه الصوت الإنساني يتجاوب مع ما نعطيه من تعليمات _ باعتبار ضغطوا نفس الأماكن، بالبداية ضغطوا بشكل عشوائي فسمعوا أصواتاً فماذا قالوا؟ عامّتهم قالوا بأنّ نفس هذه القطعة، هذا الجهاز، هذا الشيء الذي وجدوه هو يُصدر الأصوات من داخله ، الذين عندهم وعي ونوع من العلم جاءوا فجرّبوا وضغطوا بشكل عشوائي وحفظوا الأماكن التي ضغطوها وضغطوا مرّة ثانية ومرّة ثالثة فوجدوا أنّ نفس الصوت يصدر باعتبار نفس الرقم يضغطونه فماذا استنتجوا؟ قالوا هذا الشيء يستجيب لِمَا نريد ، إذا أعطينا نفس الأمر وكأنا نأمره هنا _ إستدعى حكيم القبيل علماءها للتشاور وأخبرهم أنّه قد فكّر كثيراً فيما نقلوه إليه من أخبار وتوصّل إلى أنّ ما يسمعونه عن طريق هذا الشيء إنّما هي أصوات لبشر مثلهم يعيشون في مكان بعيد

ويتحدثون بلغة مختلفة وأن هذا الشيء يقوم بالتواصل بطريقة ما مع هؤلاء البشر _ هو لا يعرف كيف هي الطريقة _ وطالب الحكيم العلماء ببذل الجهد من أجل استكشاف وتحقيق فهم أفضل للعالم من حولهم ضحك العلماء ساخرين مما توصل إليه الحكيم _ الآن كم نظرة عندنا؟ مثال لطيف ، النظرة الأولى، عامة أهل القبيلة لَمَّا أخذوا جهاز الموبايل وضغطوا عليه عشوائياً سمعوا أصواتاً تصوّروا أنّ هذا الجهاز هو الذي يُصدر الأصوات بنفسه ، الطبقة الثانية، النخبة، أهل العلم فيهم، ضغطوا عشوائياً فخرج صوت ثم كرّروا نفس العملية فخرج نفس الصوت فقالوا هذا الجهاز هذا الشيء إذا طلبنا منه نفس الشيء فهو يستجيب يعني عنده درجة من الفهم ، الحكيم بعدما سمع وفكر قال لا ، هذا الجهاز هذا الشيء ينقل لنا أصوات بشر من أمثالنا ولكن لغتهم مختلفة، لكن كيف ينقل إلينا هذه الأصوات أنا لا أعرف هذه الطريقة، هناك طريقة معيّنة فأنتم إبحثوا عن هذا الموضوع _ ضحك العلماء ساخرين مما توصل إليه الحكيم وقالوا أنظر عندما نحطّم هذا الشيء سيختفي الصوت مما يُثبت أنّ هذه التركيبة من الزجاج والمعدن والألوان هي التي تُصدر هذا الصوت ولا شيء غير ذلك وانها لولا على الهاتف المحمول بصخرة حطّمته إلى أشلاء فقالوا انتهى الصوت _ لأنّ الصوت كان يصدر من هنا بينما الحكيم كان ينظر إلى قضية ما وراء الجهاز مثل السؤال الذي سألتُهُ ، الحكيم ماذا قال؟ صحيح الصوت يخرج من الجهاز ولكن هذا الصوت ليس من نفس الجهاز هذا الصوت يأتي من بشر لغتهم مختلفة ، لكن كيف يتمّ النقل، هناك طريقة هذه الطريقة هو ما عرفها ، نفس السؤال الذي سألتُهُ بأنّ العلوم جاءتنا بهذه الأجهزة، جاءتنا بهذه التقنيات، جاءتنا بكلّ هذه الأنواع المختلفة من الحاجات اليومية، بكلّ أشكالها سائلة، غازية، صلبة، بكلّ أشكالها بكلّ ما حولنا من الحياة ، صحيح هذه تطبيقات صحيحة وجاءت من هذه العلوم وهذه علوم حقيقة ولكن هذه العلوم هل تجيب على هذا السؤال: من الذي أوجد هذه العلائق؟ ماورائية العلائق بين هذه الأشياء التي ترابطت وتراكبت فأخرجت لنا هذا التغيّر في الحياة، العلوم المخترية لا تستطيع أن تجيب على هذا السؤال ، لأنّ هذه العلوم منطقتها الملاحظة والمشاهدة والتجربة الحسيّة والرصد ، القضية هنا ، هو يستمرّ ويقول: تؤكّد هذه الحكاية الرمزية أنّ مفاهيمنا المُسبقة تُوجّه تحليلنا للظواهر وللبراهين والحجج والصواب أن ندع للبراهين والحجج الجديدة الفرصة لأن تُعيد تشكيل مفاهيمنا وآرائنا إن

تمسّكنا بمفاهيمنا السابقة _ كلمة جداً واضحة _ أن مفاهيمنا المُسبّقة _ يعني هذه المفاهيم مسبقة، أخذت من المدرسة الأصوليّة والمدرسة الأصوليّة أخذت قسماً من المعطيات ، أخذت من المدرسة العرفانيّة والمدرسة العرفانيّة أخذت قسماً من المعطيات ، أخذت من العلم والفكر الغربي والعلم والفكر الغربي أخذ الجانب الحسّي والظاهري منها ، فقسّم من المعطيات، وشكّلت لدينا معلومات مسبقة وعلى ضوء هذه المعلومات استنتجنا _ تؤكد هذه الحكاية الرمزيّة أن مفاهيمنا المسبقة توجّه تحليلنا للظواهر وللبراهين والحجج والصواب أن ندع للبراهين والحجج الجديدة الفرصة لأن تعيد تشكيل مفاهيمنا وآرائنا إن تمسّكنا بمفاهيمنا السابقة كثيراً ، إن تمسّكنا بمفاهيمنا السابقة كثيراً ما يُعيقنا عن التفكير في مفاهيم أرحب عن العالم كذلك تُظهر الحكاية أن للحقيقة مستويات معرفيّة متعدّدة فهناك فهم العوامّ وفهم العلماء وفهم الحكماء ويتوقّف إدراكنا لهذه المستويات على قدرتنا على الإنطلاق بفكرنا دون قيود من مقدّمات ومسلّمات خاطئة ، إن هذا هو نفس الحاجز العقلي الذي واجه زملائي السابقين الملاحظة عندما أعلنت قناعتي بوجود إله بناءً على ما أظهره العلم الحديث من حقائق فأخذوا يردّدون في شبه هستيريا خالية من المنطق والبرهان العلمي أو الفلسفي مفاهيم تعيقهم عن التفكير الحرّ وتقف بهم عند مستوى ضحل من الإدراك _ إلى آخر الكلام ، هناك استدلال جميل استدلّ به هو وآخرون ممّن تركوا الإلحاد في الفكر الغربي ، إنتقال سير أنتوني فلو إلى الإيمان بوجود إله أحدث صدمة كبيرة في مراكز الإلحاد في العالم لأنهم كانوا يعتبرونه القدوة والأسوة والزعيم والقائد والمفكّر الأوّل والأخير ، يلجأون إليه في كلّ صغيرة وكبيرة وكان من أكثر الملحدّين عناداً ويستعمل العلم الحديث بكلّ إنتاجاته ونظريّاته ونتائجِه وكشوفاته يستعملها لتأكيد قضيّة الإلحاد ، هناك ما يُعرّف في الفكر الغربي بالمبدأ الإنساني هو أيضاً استدلّ بهذه الفكرة واستدلّ بقضايا كثيرة لكن بشكل مختصر ، المبدأ الإنساني ما هو في الفكر الغربي؟ المبدأ الإنساني يقول بأنّ الإنسان حينما يُولّد يجد كلّ شيءٍ مهيباً لحياته فهل هذا جاء من دون حكيمةٍ ومن دون راعٍ يرعاه في كلّ صغيرة وكبيرة ويضربون مثال، يقول مثلاً أنت ذهبت في سفرةٍ إلى فندقٍ فلمّا دخلت إلى الفندق هناك جهة حجّرت لك في ذلك الفندق ، شركة معيّنة، صديق، جهة حجّرت لك غرفة في فندق ، دخلت إلى الفندق ماذا وجدت؟ وجدت نوع السرير الموجود هو من النوع الذي تُفضّلُه

نفس النوع الموجود في بيتك ، الأقمشة الموجودة، أقمشة الستائر، أقمشة الأغطية، الوسائد، كلها من النوع وبالألوان التي تحبها وتعجبك ، وحينما فتحت الثلاجة مثلاً وجدت الأطعمة والأشربة التي تريدها، وحينما دخلت إلى الحمام وجدت نوع الشامبو والصابون وسائر الأمور الأخرى التي أنت تحبها، وجدت كل شيء في هذه الغرفة بالضبط الأشياء التي أنت تحبها وتريدها، ماذا تستكشف من ذلك؟ أنّ هذه الجهة التي حجّزت لك هي التي طلبت من الفندق أن يهيئوا ذلك وكانت لهم معرفة بما تشتهي وما تحب وما تهوى ، هذا المثال هو مثل الإنسان حينما يؤلّد لَمَّا يُولّد ويخرج الإنسان إلى الدنيا يجد أنّ العالم الديني قد هبّ له بالكامل كي ينمو ويكبر ويعيش ويبدع و... ويعمر الأرض، نفس المضمون الموجود في الآية ﴿ فَاْمُشُوا فِي

مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾ رزق بكل أنواعه ، فهذا دليل يدل على أنّ هناك من هيأ ولكن الإنسان يجهل ، مثال جميل يضربه اينشتاين حين سأله عن معرفته بالله ، ماذا قال؟ قال معرفة الإنسان بالله مثل طفل صغير يدخل في مكتبة ضخمة جداً، مكتبة كبيرة وفي هذه المكتبة كتب كثيرة جداً وبمختلف اللغات و هذه المكتبة منظمّة بتنظيم جميل ، هذا الطفل ماذا يستنتج؟ هذا الطفل يعرف بأنّ هذا الكتب قد ألفها مؤلّفون لكن هو لا يعرفها ويستنتج بأنّ هذه المكتبة قد نظّمها منظّم ولكن هو لا يعرف من هو الذي نظّمها ، اينشتاين يقول معرفتي ومعرفة الإنسان بالله كمعرفة هذا الطفل ، نحن نرى كوناً منظّماً ونرى كلّ شيء في محله ولكننا لا نستطيع أن ندرك كنه الذي نظّم هذا المكان نظّم هذه الحقيقة ندرك أنّ عقلاً ، كان يقول العقل الفائق ، هناك عقل فائق هو الذي نظّم هذا الوجود ، أنا أقول لعبد الكريم سروش لو رجعت إلى أحاديث أهل البيت وفهمت دين أهل البيت في أفق التأويل لا في أفق التنزيل، في أفق التنزيل هناك تسطيح وسداجة وقلة في الفهم واضحة، في أفق التأويل يا علي ثقاتهم على التأويل كما قاتلتهم على التنزيل ، كما قاتلهم رسول الله، لو نظرنا إلى فهم أهل البيت في مرحلة التأويل لوجدنا نظاماً متكاملًا وهذا النظام المتكامل يدل على قوّة متكاملة التي نعبر عنها بالإمامة، يدل على إمامة متكاملة.

بهذا القدر أكتفي أنا ما كان قصدي أناقش عبد الكريم سروش ولا أريد الردّ على هذه التفاصيل ولكن الحديث جرّ الحديث إنّما أردتُ أن أشير إلى هذه الحقيقة أنّ حيرة العلماء بين التنزيل والتأويل تقود إلى هذه النتائج وإلى غيرها.

اسألکم الدعاء جميعاً

الحلقة يوم غد تحت عنوان (النظرية القصديّة)

تصبحون وتمسون على ولاء فاطمة وآل فاطمة

زهرانيون نحن والهوى زهراني

يا زهراء

في أمان الله

* ملفّ التنزيل والتأويل متوفر بالفيديو والأوديو على موقع زهرانيون

www.zahraun.com